بسم الله الرحمن الرحيم

مكتب التّخطيط
وتقنية التّعليم

النسخ
بين المفسّرين والأصوليّين

دراسة موضوعية شاملة فى أنواع النسخ
وما قيل فيه من آراء

الدكتور عبدالرسول الغفاري
أستاذ مادة علوم القرآن/ قسم الدراسات العليا
وعضو هيئة العميلة بجامعة كاشان

مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر
التابعة لجامعة المصطفى العالمية

سرشناسه:	غفاري، عبدالرسول Ghaffari, Abdul-Rasool
عنوان و نام پديدآور:	النسخ بين‌المفسّرين والاصوليّين(دراسه موضوعية شاملة في انواع النسخ وما قيل فيه من آراء)/ عبدالرسول الغفاري.
مشخصات نشر:	قم: مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي للترجمة و النشر، ١٤٣١ق / ١٣٨٩ش.
مشخصات ظاهري:	٣٦٠ ص.
شابك:	978-964-195-223-7
وضعيت فهرست‌نويسي:	فيپا
يادداشت:	عربي.
موضوع:	قرآن -- ناسخ و منسوخ -- نظر مفسران
موضوع:	قرآن -- ناسخ و منسوخ -- نظر فقيهان
شناسه افزوده:	جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية. مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي للترجمة و النشر
رده بندي كنگره:	١٣٨٩ ٥ن٧ق/٨٥/٢ BP
رده بندي ديويي:	١٥٥/٢٩٧
شماره كتابشناسي ملي:	٢١١٢١٠٥

النسخ بين المفسّرين والأصوليّين

المؤلف: الدكتور عبدالرسول الغفاري

الطبعة الاولى: ١٤٣١ق / ١٣٨٩ش

النّاشر: مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي للترجمة و النشر

الإخراج الفنّي: السيّد محسن عمادي المجد

معتمد الطباعة: نعمت‌الله يزداني

المطبعة: الزلال كوثر ● **السّعر:** ٤٨٠٠٠ ريال ● **عدد النسخ:** ٢٠٠٠ نسخه

حقوق الطبع محفوظة للناشر.

التوزيع:

● قم، استدارة الشهداء، شارع الحجتية، معرض مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي للترجمة والنشر.
هاتف ـ فكس: ٠٢٥١٧٧٣٠٥١٧

● قم، شارع محمد الامين، تقاطع سالارية، معرض مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي للترجمة والنشر.
هاتف: ٠٢٥١٢١٣٣١٠٦ ـ فكس: ٠٢٥١٢١٣٣١٤٦

www.eshop.miup.ir , www.miup.ir
E-mail: admin@miup.ir, root@miup.ir

كلمة الناشر

إن التطور العلمي الذي يشهده عالمنا اليوم، والوسائل التكنولوجية الحديثة قد دفعت بعجلة المدنية والثقافة الى الأمام، بل واصبح الانسان يرقب في كل يوم تصورا آخر، وهذا التطور قد كشف لنا القناع عن بعض المناهج الدراسية في معاهدنا ومؤسساتنا العلمية واذا بها مناهج تحتل زواية ضيقة من هذا العالم العلمي الفسيح.

من هنا اتخذت المؤسسات العلميّة في الجمهورية الاسلامية في ايران وفي مقدّمتها جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالميّة؛ أتخذت على عاتقها صياغة بعض المناهج الدراسيّة صياغة تلائم الحركة العلميّة المعاصرة، ومالها من متطلّبات بحيث تنسجم مع المحيط العلمي الجديد.

لقد بادرت الاقسام العلميّة في جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله بمخاطبة الاساتذة ذوي الأختصاص ليساهموا في وضع مناهج حديثة في علوم القرآن، والفقه، والاصول، والتفسير، والتاريخ، و... كي تلبّي احتياجات الدارسين في مختلف المستويات وعلى صعيد كل الاختصاصات الأنسانية والدينية.

كانت خطوة الجامعة جريئة وموفقة حيث بذرت بذوراً صالحة تفتّقت من خلالها براعم طيبة، وانتجت ثماراً ناضجة تؤتى أُكُلها في كلّ حين.

نعم، لمّا كانت بعض المواد الدراسيّة لم تتوفر فيها الكتب المنهجيّة اللازمة التي تنسجم مع السطح العلمي لعموم المعاهد والمؤسسات العلميّة، فقد أناطت ادارة جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله ـ

الحقل العلمي ـ مهمّة تدوين وتأليف هذه المناهج الجديدة والبحوث العلميّة ذات الطابع العلمي والأكاديمي الى جملة من الاستاتذة المختصّين والعلماء الأفاضل، وأولتهم رعاية فائقة وتسهيلات محمودة كي يتمّ انجاز تلك البحوث على وفق المناهج المقرّرة. وفعلا تصدّى للعمل نخبة من العلماء، وأُنجز الكثير من تلك البحوث والمؤلّفات، حيث بذل أصحاب الفضيلة جهوداً مضنية، ومساعي متواصلة، بغية المساهمة الجادة في خلق كادرٍ متخصّصٍ في شتى العلوم والفنون، ثم جاءت هذه المساهمة صادقة في كل ابعادها، تجلّلها النظرة الشمولية والعمق العلمي والبيان الواضح.

إن جامعةالمصطفىﷺ العالميّة اصبحت اليوم محطّ انظار الدارسين في الداخل والخارج، وهي تعدّ بحقٍ من اكبر المؤسسات العلمية في عالمنا الاسلامي والعربي، وقد استقطبت العديد من اصحاب الاختصاص من الاساتذة والمؤلفين، كما أغنت المكتبة الاسلامية بمجموعة بحوث ومؤلفات قد تم طبعها ونشرها خلال هذه السنين القلائل لتكون منهلاً عذباً للدارسين وطلاب الحقيقة والمعرفة.

ومن منطلق الخدمة العلميّة يتقدّم القسم التعليمي في هذه الجامعة بالشكر والتقدير لسماحة الاستاذ العلامة الدكتور عبدالرسول الغفاري لما بذله من جهود تستحق الاحترام والتقدير ـ في تأليفه لكتاب «النسخ بين المفسرين والأصوليين» كما نشكر اعضاء الكادر الفني الذي ساهم بشكل حثيث في انجاز وطبع هذا الكتاب الماثل بين يدي القاريءالكريم.

وكلّنا أمل ورجاء بأن نكون قد ساهمنا في رفد الحقل العلمي والمكتبة الاسلامية بالبحوث والمؤلفات خدمة للعلم والعلماء ومشاركة منّا في تفعيل الحركة الثقافية في العالم الاسلامي، وما التوفيق إلا من عند الله

الهيئة العلمية
في مركز المصطفىﷺ العالمي للترجمة والنشر

الفهرس

المقدمة ١١
تمهيد ١٧
أهمية النسخ في التفسير ١٧
تعريف النسخ لغة ١٩
وقفة عند بعض المصطلحات ٢٣
القسم الأول: مفهوم الموافقة ٢٤
القسم الثاني: مفهوم المخالفة (دليل الخطاب) ٢٤
التخصيص بالأدلة المنفصلة ٢٧
المطلق والمقيّد ٢٨
المجمل والمبين ٢٩

الفصل الأول

النسخ عند الصحابة ٣٣
النسخ عند الأصوليين ٣٥
النسخ عند الفقهاء (اصطلاحاً) ٣٩

الفصل الثاني

إمكان النسخ ٥٣
الاستدلال بالقرآن في جواز وقوع النسخ ٥٣
أدلة إثبات النسخ ٥٥
روايات النسخ في أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٥٦
موقع النسخ في الخطاب القرآني ٦٠
رأي بعض المتأخرين في إمكان النسخ ٦٠

الفصل الثالث

النسخ عند اليهود ٦٥
ما حرم من الحيوانات ثمّ نسخ ٧٨
النسخ عند النصارى ٧٩
النسخ بين التوراة والإنجيل (الطلاق)..... ٧٩
النسخ بين التوراة والانجيل (الحلف) ٨٠
النسخ في القصاص ٨٠
نسخ الصوم..... ٨٠
النسخ بين التوراة وما جاء به الرسل بعد المسيح ٨١
النسخ بين انجيل وآخر..... ٨١

الفصل الرابع

علم الناسخ عند مَن؟..... ٨٥
حكمة النسخ ٨٧
سبب الاختلاف في النسخ ٨٩
إهتمام المسلمين في علم الناسخ والمنسوخ ٩٣
ما ألّف في النسخ في القرن الأول والثاني الهجريين..... ٩٣
ما ألّف في القرن الثالث الهجري ٩٤
ما ألّف في القرن الرابع الهجري..... ٩٥
ما ألّف في القرن الخامس الهجري ٩٧
ما ألّف في القرن السادس الهجري..... ٩٧
ما ألّف في القرن السابع الهجري والثامن منه ٩٨
ما ألّف في القرن التاسع الهجري والعاشر منه..... ٩٨
ما ألّف في القرن الحادي عشر الهجري ٩٩
ما ألّف في القرن الثاني عشر الهجري ٩٩
ما ألّف في القرن الثالث عشر الهجري ٩٩
ما ألّف في النسخ في فترات مختلفة ٩٩
مراجع هذه المصنفات ١٠١

الفصل الخامس

بين النسخ والبداء..... ١٠٥
تعريف البداء ١٠٥
معنى البداء بين اللغة والعرف ١٠٦
البداء في الاصطلاح ١٠٧
ممّا يستدل على البداء من الكتاب..... ١١١

البداء والنسخ بنظر اليهود ١١٢
نظرة اليهود إلى البداء ١١٣
ما نسب إلى الشيعة ١١٣
فما هي مقالة سليمان بن جرير؟ ١١٤
قول المخالف ١١٤
علمُ الله سبحانه ١١٧
عَلم الله سبحانه المكتوم عن الخلائق ١٢١
نصوص مأثورة تؤكد وقوع البداء ١٢٢

الفصل السادس

نسخ الحكم و التلاوة موارد نسخ الحكم و التلاوة على وجه الاجمال ١٣١
متابعة النصوص من مصادرها الأوّلية ١٣٧
المورد الأول (لو كان لإبن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثا ولا يملأ جوف إبن آدم إلا التراب) ١٣٧
دراسة وتحليل في الآية المزعومة (لا يملأ جوَف إبن آدم إلا التراب) ١٥٧
المورد الثاني ﴿يا أيها الذين آمنوا لمَ تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة﴾ ١٦٣
المورد الثالث (سورتان كان الخَليفة عمر بن الخطاب يقرأهما في قنوته) ١٧١
نقد وتعليق ١٩١
ذكر و تعقيب ١٩٥
باب لعن المنافقين في القنوت ١٩٥
المورد الرابع (عشر رضعات معلومات يحرمن، ثمّ نسخن بخمس معلومات...) ٢١٥
المورد الخامس (لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم..) ٢٤٣
المورد السادس (قومنا إنا قد لقينا ربنا ورضينا عنه) ٢٥٣

الفصل السابع

نسخ التلاوة دون الحكم ٢٧٩
متابعة النصوص من مصادر علماء الجمهور ٢٨٠

الفصل الثامن

هل ضياع القرآن من باب نسخ التلاوة؟ ٣١٥

الفصل التاسع

في ما نسخ حكمه وبقي تلاوته ٣٢١
أقسام النسخ في الحكم ٣٢٣
التقسيم الأول: عند إبن البارزي (ت ٧٣٨ هـ) ٣٢٣
تعليق وبيان على النوع الثاني من تقسيم إبن البارزي (نسخ السنة بالكتاب) ٣٢٤
التقسيم الثاني للنسخ ٣٣٠

التقسيم الثالث للنسخ ٣٣٠
أقسام السور التي دخلها ناسخ أو منسوخ ٣٣٣
شروط النسخ ٣٣٤
تعقيب لا بدّ منه ٣٣٦
قواعد النسخ عند إبن العربي ٣٤٠
الموازنة بين الناسخ والمنسوخ ٣٤٣
ما خرج عن حد النسخ ٣٤٥
(١) تحريم بحكم الأصل و فيه ٣٤٥
(٢) ما كان تفسيراً لمبهم ٣٤٦
(٣) منه تخصيص وليس نسخاً ٣٤٦
(٤) منه المنسأ ٣٤٨
(٥) ما كان إتيانه على البدلية ٣٤٨
(٦) منه ما كانت الآيات إخبارية لا تشرّع حكماً ٣٤٩
(٧) آيات الوعيد ٣٥٢
(٨) الاستثناء ٣٥٥
(٩) ما كان فيه سمة حميدة خاصة بالأنبياء ٣٥٧
(١٠) ما كان فيه تدريج في التشريع ٣٥٨
(١١) إذا كان فيه تحديد لمسؤولية النبي ﷺ ٣٥٩
(١٢) ما كان غاية، فلا نسخ فيه ٣٥٩
(١٣) ما كان بياناً لشرط ٣٦٠

المقدمة

الحمد لله الخالق البارئ المصوّر، الفرد الصمد، اللهم أنت الواحد بلا شريك، والمَلِكُ بلا تمليك، لا تضاد في حكمك، ولا تنازع في ملكك، العليم الذي لا ينسى، والسميع الذي لا تشتبه عليه الأصوات ولا تغلّطه الحاجات.

أحمدك يا من في السماء عظمته، وفي الأرض عجائبه، ويا من في الآفاق آياته، وفي الآيات براهينه، وأثنى عليك يا من الأمور بقبضته، والملوك تتصاغر لكبريائه، يا من جعل لكل شيء أمداً، وأحاط به علماً، يا من أحصى كل شيء عدداً.

يا من نسخ بنوره دياجير الظلم، وأماط شبهات العقول بأفصح الكلم، أسألك أن تصلي على محمد عبدك ورسولك ومستودع سرّك وأن تصلي على آله الطيبين الطاهرين كما صلّيت على إبراهيم، وأن توزعني أن أشكر نعماءك ما تبلغ بي غاية رضاك، وأن تعينني على طاعتك ولزوم عبادتك واستحقاق مثوبتك بلطف عنايتك، وأن تشرح صدري بكتابك، وبعد ...

إنّ حياة الشعوب تدور في عجلتها التاريخية نحو التطور والعمران والتمدّن، فهي كانت في أوائل مراحلها تعيش حالة البداوة والهمجيّة وذلك في العصور الحجرية الأولى، ثمّ سارت ـ بنشاط في تأمين الحاجات الضرورية ـ متجهة إلى بناء حياة أكثر ألفة ومدنيّة، فكانت المجتمعات المتمدّنة والأمم المتحضّرة، وهذا السير نحو الكمال وإلى الأحسن نابع من تفكير الفرد الواحد، إذ تجد الإنسان ـ دوماً ـ يصارع معترك الحياة لتأمين المعاش الأفضل له ولأفراد أسرته.

إذاً التفكير في الوصول إلى الكمال يعود فضله إلى اللبنة الأولى وهي الأسرة، بل قل إنّ الفرد هو الأساس في ذلك التفكير.

وعليه يمرّ الإنسان ـ المادي ـ منذ بزوغ فجره الجديد في هذه الدنيا وحتى توديعه الأرض التي ولد عليها؛ يمرّ بعدّة مراحل، يسعى فيها للوصول إلى ذروة السعادة من خلال تحقيق أمنياته التي يصبو إليها، غير مبال في أنّ هذه السعادة التي سينالها تضرّ بالآخرين أم لا تضرّ. هكذا تفكير تجسّده المجتمعات المادية وهي بعيدة كل البعد عن الأخلاق والمُثل والإنسانية.

بينما الشخص الرسالي لا يبحث عن النفع الشخصي بقدر ما يبحث عن النفع العام الذي يشمل كل أفراد المجتمع إلا أن هؤلاء الرساليين في كل زمان هم القلّة النادرة، ولغرض إصلاح شؤون الآخرين جاءت الشرائع والنبوات، ورسالات السماء لتكون مهذّبة ومُصلحة.

مُصلحَة لأنها تدعو إلى الفطرة التي أودعها الله سبحانه في هذا الجسد الآدمي إنها الفطرة الإنسانية: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[1].

وهذه الشرائع كان نزولها حتماً على حين فترة من الرسل، ولو سألت ما وجه هذه الحتمية؟ قلنا: إنّ الله سبحانه وتعالى كتب على نفسه الرحمة، ولمّا كان الإنسان ظلوماً جهولاً، جاءت هذه الرحمة ـ الشرائع ـ النازلة من السماء لتعليم الجاهل وانتشاله من الحضيض بسعي من الأنبياء والرسل، كما جاءت لتأديب الظالم وزجره من التعدّي على حقوق الآدميين وما لهم من تبع، وكما عرفت فالإنسان إذا تُرك طغى واستغنى كأن ليس إلى ربّه الرّجعى، فليس غريباً أن تلاحظ الشرائع السماوية حالات الضعف والشدة في الإنسان، وعليه أنّ أسلوب الشرائع دائماً يواكب هذه الحالات المتقلّبة عند الإنسان والتي مصيرها ـ تلك الحالات ـ متأرجح بين الكفر والإيمان.

---

١. الروم: ٣٠.

فأيّما مجتمع انسلخ من فطرته الإنسانية صار إلى الهاوية، وإلى السقوط الخلقي، لكونه تنكّب طريق الحق واتّبع سجيّة متوحّشة، فهو مائل بثقله الحضاري إلى الضلال والخسران و نابذاً وراءه منطق العقل والبرهان.

فالمدنيّة والحضارة إن لم يكن لها نظام سماوي فهي إلى السقوط لا محالة.

والنظام السماوي قد أنزله الله سبحانه على الصفوة من عباده وهم الأنبياء والرُسل ليبلّغوه إلى الناس، كي يحقّق الجميع السعادة المنشودة، وهذه السعادة لا تأتي إلا بتوحيد الله سبحانه وامتثال أوامره والانتهاء بنواهيه، وأتباع أنبيائه ورسله، إنه نظام إلهي صادر من حكيم عليم يعرف جميع المصالح، فإذا أمر سبحانه فهو لمصلحة العباد، وإذا نهى فإنما نهيه لمصلحة لهم، وإذا غيّر أو بدّل أو نسخ فلمصلحة، وجميع هذه المصالح في علمه المخزون، وفي كتابه المكنون، إنه في اللوح المحفوظ الذي لا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا وقد أحصاها.

إذاً ظاهرة النسخ لا مناص منها ـ كما عرفت ـ فهي توافق سير كلّ المجتمعات، لأن النسخ ظاهرة سماوية من جهة، وظاهرة حضارية من جهة أخرى.

أما كونه ظاهرة سماوية في كل تشريع، ذلك ما عرفته سابقاً من أن الله سبحانه الذي أوجد الخليقة هو أدرى بما يصلح هذا الخلق العظيم، ولا مكابرة في ذلك.

وأما كونه ظاهرة حضارية فلأنّه ـ النسخ ـ ينظّم علاقات وشؤون أفراد المجتمع نفسه، إذْ يبدأ الفرد أولاً بحالة من الفطرة، ثمّ يأخذ ــ لعوامل ومؤثرات ــ بالانحراف والابتعاد عن الجوهر الأصيل نابذاً وراءه كل المُثل والقيم،متّخذاً من بريق المادة والشهوات الجسدية الفانية أساساً في تفكيره.. هذا الاضطراب يستدعي ذلك التشريع بكل أقسامه وطروحاته بما فيه النسخ، فهو حاصل في الشريعة الواحدة، كما أنه حاصل بين الشرائع، فكلّ شريعة سابقة منسوخة بشريعة لاحقة، إلى أن استقر الكيان البشري على صيغة التآلف والأنس بالتوحيد الخالص، حيث أدرك الإنسان بعقله أنه لابدّ لهذا الوجود من خالق واحد الذي أبدع هذا الكون وذهب بوحده في تدبيره، فكانت الرسالة الإسلامية هي أرقى الرسالات السماوية الموجودة، إذْ رسمت هذه الشريعة الغرّاء معالم الحضارة المنشودة عند البشر، وأبانت طرق

السعادة والخير والكمال فرست جميع القواعد والأحكام، فلا شريعة بعدها، وهي خاتمة الأديان، ومحمدﷺ خاتم الأنبياء.

بعدما تبين أن النسخ ظاهرة في كل الشرائع، وجدنا فيمن تناول هذه الظاهرة في التشريع الإسلامي بين حريص على تنزيه القرآن من جميع وجوهه وأقسامه فأدّى عمله ذاك إلى أن ينكر النسخ جملة وتفصيلاً، مدّعياً أن الالتزام بوجود النسخ يفضي إلى التناقض والتنافي بين آياته وسبحانه وتعالى يردّ هذا التنافي بقوله الكريم: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[1]. وقد ذهب إلى هذا الرأي من القدامى أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني (ت ٣٢٢هـ)، ومن المتأخرين السيد الخوئيرحمه الله، وعبد المتعال الجبري، والدكتور أحمد حجازي السقا، وجواد موسى محمد عَفانه، وجملة من أعضاء المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، بمصر. ولا يخلو عمل هؤلاء من تفريط صارخ.

وهذا النزر القليل من الباحثين لا يقدح بما أجمع عليه علماء الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً[2]، غير أن النسخ الذي نذهب إليه هو أنْ لا يصح الحكم بنسخ آية من القرآن الكريم إلا بدليل قطعي.

---

١. النساء: ٨٢.

٢. ينظر: الميسّر في علوم القرآن: ص ١٨٣، و تفسير عبد الله شبّر: ص ٧٦، و الدّر المنثور ١: ٣٠٩ و لتوضيح فكرةالاجماع، قال العلاّمة هادي معرفة: و كانت ظاهرةالنسخ أمراً لا بدّ منه في كل تشريع يحاول تركيز معالمه في الاعماق، و الاخذ بيد أمّة جاهلة إلى مستوي عال من الحضارة الراقية ... فإنّ النسخ ضرورة واقعية تطلبها مصلحةالأمّة ذاتها، و لم يكد ينكر ما لهذه الظّاهرة الدينيّة من فائدة و عوائد تعود على الامّة، و اعظم بها من حكمة الاهية بالغة، و لم يخف على العلماء ما لظاهرة النسخ من حكمة واقعية و حقيقة ثابتة لا محيص عنها.
ثم قال في مَعرض كَلامه في آية الامتناع: ﴿وَ الَّذينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ ...﴾ البقرة: ٢٤٠، انها منسوخة بالاجماع؛ نسخَتها آية: ﴿...يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً...﴾ البقرة: ٢٣٤ ونسخَتها آيةالمواريث، النساء / ١٢، انظر التمهيد ٣٠٦/٢ اقول: في ذلك توَجدَ رَوايات عديدةً ينتهي سندها إلى الإمام الصادق عليه السلام أو الإمام أمير المومنين عليه السلام و ربما تبلغ في مجموعها مبلغ التواتر
و في هذا الصدد قال الشيخ معرفة: و العمدة: اجماع علماء الأمّة و اتفاق كلمة المفسرين لم يشذ منهم أحد. وأقوى دليل على تحقيق هذا الإجماع: أنّ احداً من فقهاء الامة سلفاً وخلفاً لم يأخذ بمفاد الآية الاولى و لم يفت بمضمونها لا فرضاً و لا ندباً. الامر الذي يدل دلالة واضحة على اتفاقهم على ـ أنّ الآية منسوخة ـ كلمة وَاحدة. التمهيد ٢: ٣٠٦.

ولكن الذي هو موضع البحث والنقاش تشخيص مواردالناسخ والمنسوخ فيالقرآن.

فإذا لم يحصل القطع بالنسخ بطل موضع الاستدلال عليه بالأدلة الظنّية للإجماع المشار إليه.

وقد وجدنا من بين الأمة من هو في حد الإفراط أو التفريط، بينما الذي ثبت فيه النسخ من القرآن على سبيل الجزم فهو في موارد قليلة جداً ضمن مسلك المفسّرين دون الأصوليين.

لأن المعوّل عليه في القواعد الأصولية أن نلتزم في مجال العمل فيما لو كان الناسخ قطعياً، أما لو كان ظنّياً فلا حجة فيه ولا يصح الأخذ به، كما عرفت من الإجماع الحاكم على أن النسخ لا يؤخذ به إلا بدليل قطعي.

وعلى هذا كانت السيرة العملية، وإجماع الفقهاء من جميع طوائف المسلمين على أن الأصل عدم النسخ عند الشك فيه.

وهذا فرق بيننا وبين من أنكر النسخ جملة وتفصيلاً.

إذْ ادّعى بعض المنكرين أن النسخ في التشريع كالبداء في التكوين وكلاهما محال على الله سبحانه، وعلّلوا ذلك بأن النسخ والبداء يتّحدان في أمرٍ واحد حاصله نشأة العلم بعد جهل يسبقه، أي تبدّل مصلحة بعدما كانت خافية من قبل.

ثمّ قالوا: إنّ وجود آية منسوخة في القرآن ربما سبّب التباساً عند المكلّفين فيعملون بها ظناً منهم أنها محكمة، في حين أن الأمر ليس كذلك، ولو حصل العمل بذاك الظن كان المكلّف في غرر وجهل، ومنشأ ذاك من عدم البيان، وهذا عين الجهل، وهو قبيح على الله سبحانه بل هو محال.

أقول: لا يخفى أن أصحاب هذا المنهج قد راودتهم جملة من الشكوك والشبهات فأدّى بهم إلى أن ينكروا النسخ، بل وجعلوه كالبداء.

في حين أن النسخ غير البداء، فالأوّل في التشريع والثاني في التكوين، وكلاهما في علم الله سبحانه منذ الأزل، وإذا خفي فإنّما خفي على الناس فحسب لمصلحة يراها الله تعالى.

أمّا كون المكلّف جاهلاً فيلتبس عليه الأمر، فمتى كان الجهل عذراً مقبولاً عند العقلاء؟ إنّه تقصير من قبل المكلّف، ولا يعذر عليه طالما أبواب العلم مفتوحة للجميع ولابدّ من متابعة التشريع في كلّ حين.

وفي المقابل هناك فريق آخر ـ وهم الأكثرية ـ اتّبع منهجاً معاكساً فأوقعهم في الإفراط، بحيث كلّما بدا لهم وجود تعارضٍ ظاهر بين موردين في القرآن لم يستطع فهمه أو لم يتمكّن من حل لغزه، قال: هناك نسخ. مع أن القرآن فيه العام والخاص، والمطلق والمقيّد، والمجمل والمبيّن، والمحكم والمتشابه، والظاهر والباطن والكناية والاستعارة والاستثناء، فلا عذر للجاهل أن يأخذ بأيٍّ من هذه الأقسام ما لم يتعلّم!

وعليه فلا تعارض في القرآن إطلاقاً، بل كلّه محكم، فأوّله كوسطه، وآخره كأوله.

ويكفينا أن نستدل على ما فرّط به هؤلاء قولهم أن آية السيف نسخت مائة وأربعاً وعشرين آية، وقس على ذلك..

المؤلف
عبد الرسول الغفاري